الصراع على الارض والسكان في فلسطين

Efrat, Elisha, *Geography and Politics in Israel since 1967*,
London: Frank Cass & Co., 1988, 225 Pages.

كان الصراع العربي ـ الصهيوني، منذ بدايته، صراعاً على الارض والسكان؛ وكان، ولا يزال، الهدف الاساس للحركة الصهيونية اولاً، واسرائيل لاحقاً، الاستيلاء على اكبر مساحة ممكنة من ارض فلسطين، واستعمارها بأكبر عدد ممكن من المستوطنين اليهود، القادمين في موجات متلاحقة من المهاجرين، بل ان المقياس الاهم لرصد مدى نجاح الصهيونية في مشروعها الاستعماري في فلسطين يتلخّص في نسبة الاراضي التي استولت عليها منذ بداية نشاطها، ومدى قدرتها على اجتذاب المهاجرين اليهود، ونجاحها في استيعابهم، وتوطينهم، في فلسطين. وعلى هذا الاساس، فإن العامل الجغرافي (الارض) يبقى له الكلمة الاخيرة في الصراع الذي تخوضه الصهيونية في فلسطين مسلّحة بالعاملين الآخرين: السكان والمال.

والكتاب، الذي نحن بصدده، يتناول، بالتحديد، المشاريع الاسرائيلية المتلاحقة منذ حرب العام ١٩٦٧ ، وارتباطها بسياسات الحكومات العمالية والليكودية، الهادفة، في مجملها، الى «تنظيم» عملية الاستيلاء على الاراضي العربية المحتلة، واستعمارها بأفواج المهاجرين اليهود، وذلك ضمن استراتيجية الامن الاسرائيلي المطلق.

واضع الكتاب هو استاذ في دائرة الجغرافيا، في جامعة تل ـ ابيب. وقد غطّى، في كتابه، وعلى مساحة ٢٢٥ صفحة، ابرز اتجاهات الاستيطان في مختلف مناطق فلسطين المحتلة، سواء في المراكز المدينية الكبرى (القدس والخليل) أو في المناطق الجغرافية المحدّدة (وادي الاردن، والنقب، والجليل)، مع الأخذ بعين الاعتبار التغيرات الكبيرة التي شهدتها السياسة الاستيطانية، اثر انتقال السلطة الحاكمة من يد حزب العمل الى الليكود، بنتيجة انتخابات العام ١٩٧٧.

وواضح، عبر صفحات الكتاب، ذلك الترابط العضوي فيما بين اتجاهات الاستيطان والاهداف السياسية لحكومات اسرائيل، سواء في المناطق الواقعة داخل ما يسمى بـ «الخط الاخضر» (أي حدود احتلال العام ١٩٤٨)، أو في المناطق المحتلة العام ١٩٦٧.

وبالتحديد، حاول الكتاب الاجابة عن الاسئلة التالية: كيف اختلفت خصائص النشاط الاستيطاني في اعقاب حرب العام ١٩٦٧ عنها في الفترة التي اعقبت حرب العام ١٩٤٨؟ ما هي التأثيرات التي خلّفتها الحدود الجديدة على حركة الاستيطان؟ ما هي المناطق التي تمتعت بالاولوية في اهتمامات الاجهزة الاستيطانية في عقد السبعينات؟ ما هو الشكل الذي ستتخذه خارطة الاستيطان الاسرائيلي في الفترة المقبلة، في ضوء التطورات السياسية الاخيرة؟

من نافل القول الاشارة الى أن الخلفية الذهنية التي ينطلق منها الكاتب، ترتكز على «البديهيات» الصهيونية التي تعتبر فلسطين، بكاملها، «حقاً» لا نزاع عليه لليهود، وان حرب العام ١٩٤٨، وكل ما نجم عنها من احتلال وطرد وتشريد بالنسبة الى الشعب الفلسطيني، ليست سوى حرب «تحرير» بالنسبة الى الصهيونيين، تبعها «تأسيس الدولة» بأجهزتها كافة.